

جيروزاليم بوست: التأمل في العلاقات الإسرائيلية المصرية



نشرت صحيفة جيروزاليم بوست مقالاً للعضو السابق في الكنيست روث واسرمان لاند ينظر فيه في علاقات دولة الاحتلال مع مصر وسبل الحفاظ عليها. ويقول الكاتب إن العلاقات الإسرائيلية المصرية واجهت قدرًا من التحديات، بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد في عام 1979. ومن المثير للاهتمام أنه في العام نفسه على وجه التحديد، اندلعت الثورة الإسلامية في إيران، واختفت الصداقة العميقة والدافئة بين إسرائيل وإيران على الفور وحل محلها سلام بارد، ولكن استراتيجي، مع مصر.

وقال الكاتب إن قصور التطبيع الذي اتسمت به العلاقات الثنائية مع مصر منذ البداية ظل مصاحباً للبلدين طوال العقود الأربعة من عمر الاتفاق، باستثناء فترة راحة قصيرة بعد توقيع اتفاقيات أوسلو. لقد تغلبت حتى الآن المصالح المصرية والإسرائيلية، خاصة تلك المتعلقة بالأمن. وذلك على الرغم من سلسلة طويلة من العمليات العسكرية التي شنتها إسرائيل ضد الفلسطينيين، وعلى الرغم من الانتفاضتين وعديد من العقبات الأخرى. كما تمكن البلدان أيضاً من التغلب على الافتقار إلى المودة الأساسية المتأصلة لدى الجمهور المصري تجاه إسرائيل بشكل عام واليهود بشكل خاص - وهو نتاج سنوات طويلة من التلقين والنظام التعليمي في مصر. وفي العام الماضي فقط، شهدنا هجمات معزولة شنّها جنود وعناصر شرطة مصريون ضد إسرائيليين - حالة واحدة على طول الحدود المشتركة، حيث هاجم جندي مصري اثنين من المقاتلين وقتلهم أثناء قيامهما بالحراسة، وحالة أخرى وقعت مباشرة بعد أحداث 7 أكتوبر، عندما أطلق حارس أمن مصري النار على سائح إسرائيلي كان يزور مصر. ومع ذلك، سارع كلا البلدين إلى محاولة التخفيف من وقع ما حدث.

منذ توقيع اتفاقيات إبراهيم، حدث بالفعل تغيير مرحب به في الكتب المدرسية في المدارس الابتدائية في مصر. وأزالت مصر الرسائل المعادية لإسرائيل من الكتب كجزء من جهود مصر لوضع نفسها كدولة مسؤولة تحترم الأقليات في نظر الغرب. وهذا ليس بالأمر الهين في بلد تتغير فيه الأمور بوتيرة بطيئة للغاية تصل أحياناً إلى حد الإحباط، لكن الاتجاه الإيجابي توقف في الوقت الحالي ولم

يمتد بعد إلى المدارس المتوسطة والثانوية. ومن الناحية العملية، ظل ملايين المصريين يتلقون معلومات ورسائل معادية لإسرائيل منذ عقود. ففي شهر رمضان، على سبيل المثال، اعتاد المصريون على مشاهدة مسلسلات مناهضة لإسرائيل تتناول شؤون التجسس، والتي يجسد فيها دائماً رجال الموساد شخصية الشرير، في حين ينتصر عليهم الأبطال المصريون. ولا يزال هذا الاتجاه مستمر على الرغم من أن الرئيس عبد الفتاح السيسي بذل في السنوات الأخيرة جهداً معيناً للتقليل من هذه الرسائل.

ومع ذلك، هذه مجرد أمثلة قليلة من الأمثلة العديدة التي توضح كيف يجري تغذية الجمهور المصري بمشاعر ورسائل ومواد معادية لإسرائيل. بالإضافة إلى ذلك، هناك التعاطف المتأصل الذي يكنه المصريون تجاه الشعب الفلسطيني ومعاناته، كما صورته وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي وفي شبكات مثل قناة الجزيرة المملوكة لقطر، وقناة العربية المملوكة للسعودية وما شابه ذلك. وهكذا، نشأ وضع سريالي إلى حد ما، يضطر فيه النظام المصري، الذي يعزز المصالح الأمنية التي تتوافق بحكم تعريفها مع مصالح إسرائيل وتعارض مصالح حماس، إلى أن يأخذ في الاعتبار الرأي العام السلبي للغاية الذي تتبناه الأغلبية في مصر.

ويقول الكاتب إن الحكومة المصرية تتفهم التهديدات الأمنية التي تشكلها حماس لكنها تواجه ضغوطاً داخلية لدعم القضية الفلسطينية. وهي تسير على خط رفيع بين التعاون مع إسرائيل واسترضاء الرأي العام المصري. ويرى الكاتب أن هناك مخاوف بشأن تزايد النفوذ الإيراني في مصر، بما في ذلك في قضايا مثل مشروع السد الإثيوبي، مشدداً على أن إسرائيل بحاجة إلى إشراك مصر على مستوى سياسي رفيع لمواجهة التحديات وإيجاد مجالات للتعاون. ويتطلب الحفاظ على العلاقة الإسرائيلية المصرية إضفاء الطابع المؤسسي على الحوار الاستراتيجي ومعالجة التحريض، وليس فقط التعاون الأمني التكتيكي. وقد يكون للفشل في القيام بذلك عواقب استراتيجية سلبية طويلة الأجل.